

# رَسَائِلُ إِخْوَانِ الصِّفَاءِ

بقلم الأستاذ سعيد زايد

أولاً - اخوان الصفاء :

وتحابوا ، أقبلوا على العلم وتعاونوا فيه ، ورأوا أن صداقتهم قرابة رحم ، يضحي أحدهم بنفسه في سبيل اخوانه ، مثله مثل الحمامة المطوقة تطلب الى الجرد أن يقطع شبك صديقاتها قبل شبكتها وتقدم نجاتهن على نجاتها (١) .

ظهر اخوان الصفاء أول ما ظهروا في البصرة ، وكان ظهورهم أيام دولة بني بويه ، ومما لا شك فيه أن جماعتهم قد تكونت قبل قيام هذه الدولة ، ولكنهم لزموا التكتّم فلم يسمع بهم ولا برسائلهم قبل عام ٣٣٤ هـ ، وهو عام انتصار الدولة البويهية واستيلائها على ملك بغداد . ومن البصرة تفرق اخوان الصفاء في مختلف البلدان حيث كان لهم دعاة ومجالس . ولقد أنكروا ذاتهم ، فلم يعلنوا عن أسمائهم ، وان عرف منهم زيد بن رفاعه وأبو سليمان بن معشر البستي المقدسي ، وأبو الحسن علي بن هارون الزنجاني ، وأبو أحمد المهرجاني ، والعمري كما ذكر أبو جيان التوحيدى في كتابه « المقابسات » أو العمري كما

في باب الحمامة المطوقة من كتاب كليله ودمته ذكر أن دبشليم الملك قال لبيديا الفيلسوف : « حدثني ان رأيت عن أخوان الصفاء كيف يتدّىء تواصلهم ويستمتع بعضهم ببعض » ، فقال الفيلسوف : « ان العاقل لا يعدل بالاخوان شيئاً » . ولما كان كتاب كليله ودمته من الكتب التي شاعت أيام ظهور جماعة اخوان الصفاء ، فان المستشرق جولديزهر قد رجح أن اسم اخوان الصفاء قد نقل من هذا الكتاب ، نظرا الى ما جاء في باب الحمامة المطوقة من الحديث عن الغيرة والتضحية اللازمين للصدقة الحالصة . ولقد ذهب غير جولديزهر من الباحثين الى التماس أصل آخر للتسمية ، فقال قوم ان الصفاء مقتبس من التصوف الذي غايته صفاء النفس ونقاء القلب ، وقال آخرون انه أت من العشرة الصافية والصدقة النقية . وأيا ما كان الأمر فان اخوان الصفا وخلان الوفا - كما كان يحلو لهم تسمية أنفسهم باسقاط الهمزة من الصفاء والوفاء - أصدقاء أوفياء أصفاء ، توادوا

(١) انظر النص الاول .

ذكر ظهير الدين البيهقي في كتابه « تاريخ حكماء الاسلام » . وكيفما كان الأمر فلن يفيد الباحث في شيء معرفة أسمائهم الا اذا أراد فرز آرائهم ونسبة كل رأى الى صاحبه . وما دام هذا الأمر من الصعب تحقيقه فان محاولة معرفة الأسماء جهد لا طائل تحته .

ومن الطبيعي أن تكون لآخوان الصفاء غاية ، بل غايات ، من تأليف جماعتهم ، فنحن نعرف - من جهة - أن فلسفتهم تضعهم في عداد الشيعة الاسماعيلية ، وهذه فرقة سياسية عنيفة قامت بحركات كثيرة وحاولت مرارا قلب نظام الحكم والاستيلاء على الخلافة ، فهل اتعظ الآخوان بالفشل الذي أصاب هذه الحركات فأثروا أن يهثؤوا لانقلابهم بدعوة فكرية فربما تسنح فرصة ليثبوا وثبتهم ويقبضون على أزمة الأمور ؟ ونعرف - من جهة أخرى - أن الآخوان قد ذكروا أنهم يريدون صلاح الدين والدنيا والسير وراء الحكمة والافتداء بالحكماء والأخذ بجميع العلوم الطبيعية كانت أو رياضية أو الهية ، ولكنهم - حسب قولهم - يذكرون رموزا وإشارات يجب التنبه لما تنطوى عليه . فما السبب لهذا ؟ هل لهم غاية سياسية يخفونها كالوصول الى الحكم أو القضاء على الدولة القائمة ؟ لست أدري لماذا يقول بعض المؤرخين هذا القول ولم يعرف عن آخوان الصفاء أنهم سلكوا سبيلا الى هذه الغاية . ان قلب نظام الحكم لم تكن غاية آخوان الصفاء ، ويؤيدنا في ذلك الدكتور عمر فروج (١) ، فقد نشأوا وانقضوا في عهد دولة كانت تعطف عليهم ، هي

الدولة البويهية . ونحن نرى أنه لو كانت هناك غاية سياسية لآخوان الصفاء فانها تكون غاية الإصلاح على المدى الطويل ، فقد دعوا الى تفهم جديد للدين ، أى تفسيره بالفلسفة والعلوم الطبيعية ، وهذا في رأيهم يعد اصلاحا له ، فمن صلح دينه صلحت دنياه . وكيف تكون غايتهم قلب نظام الحكم وغايتهم القصوى هي الحياة التي وراء هذه الحياة الدنيا ، أى الحياة الحقيقية للنفس العاقلة الخالدة ؟ ان جل اهتمامهم هو اصلاح النفس وتزكية الروح ، ولقد دعاهم نهمهم الى أن لا يقفوا - فى ذلك - عند عقيدة واحدة ، بل دعوا الى الأخذ من كل دين وعلم وفلسفة ومذهب ما اعتقدوا أنه جميل مفيد (٢) . فخوفهم من الحكماء - وان كانوا يصرحون بعدم الخوف - هو الذى جعلهم يفرقون فى التخفى والأخذ بالرموز فى فلسفتهم ، وهذا ما دعا بعض الباحثين الى التماس غرض آخر من هذه الرموز ، فالمثل الأعلى عندهم للانسان هو انسان عالمى نشأ فى فارس وتدين بالاسلام واعتق المذهب الحنفى ، وعشق أدب العراق ، وصار عبرانيا فى مخبره ، مسيحيا فى منهجه ، شاميا فى نسكه ، يونانيا فى علمه ، هنديا فى بصيرته ، صوفيا فى سيرته ، ملكيا فى خلقه ، ربانيا فى رأيه ، الهيا فى معارفه (٣) .

وللانخراط فى سلك الجماعة وضع آخوان الصفاء منهجا . فهم يفضلون الشباب على الشيوخ لأنهم لم يتلونوا بعد بما فى المجتمع من أدران ، وما زالت نفوسهم مهياة لتقبل الدعوات الجديدة ، ومن الممكن تنشئتهم على المبادئ التى تلائم الجماعة

(١) عمر فروج : تاريخ الفكر العربى الى أيام ابن خلدون ، ص ٣٧٩ ، دار العلم للملايين ، بيروت سنة ١٩٦٦ .

(٢) انظر النص الثانى .  
(٣) انظر النص الثالث .

لأن جوهرهم ما زال صافيا . ولقد اختلفت طرق اتصالهم بالناس تبعاً لاعمارهم ومراتبهم الاجتماعية ، فإذا كان من يدعونه صغيراً دعوه الى حفلة عامة هو وأتراب له من سنه كي يجتذبوا الى جماعتهم أكبر عدد ممكن . فإذا تعدى من يدعونه للانضمام سن العشرين أرسلوا له رجلاً من طبقة واهل صناعته يعاشره مدة من الزمن من غير ان يشعره بغرضه ويساعده في ازماته المادية والنفسية ، وبعد ان يعمق بينهما التالف يعرض عليه الانضمام مينا له أهداف الجماعة . واذا كان لمن يدعونه مركز في المجتمع آت من غنى أو جاه أو علم أرسلوا له رجلاً يتناسب مع مركزه يستميله بحسن المعاملة ورقة الحديث وصفاء الصداقة ، فإذا آنس عنده استعداداً للانضمام الى الجماعة فاتحة في ذلك . ولم يقبل اخوان الصفاء دخول الكهول في جماعتهم ، اذ من العسير أن يستمالوا الى رأى جديد بعد أن مردت نفوسهم على سلوك معين في الحياة ، ولا المرأة ، فليس لها عندهم قيمة تذكر ، فما خلقها الله الا لاستمرار النسل في الأرض أو لتكون زوجاً لمن لا يستطيع التعفف .

واخوان الصفاء أربع طبقات تبعاً لأربع مراتب هي : مرتبة الاخوان الأبرار الرحماء ، وهم من أتموا خمس عشرة سنة من العمر فتبتهت فيهم القوة العاقلة المميزة لمعاني المحسوسات الواردة على « القوة الناطقة » ، وتقابل مرتبتهم أرباب ذوى الصناعات في المدينة . ثم مرتبة الاخوان الأخيار الفضلاء وهم الذين بلغوا ثلاثين سنة ، وقد تبتهت فيهم « القوة الحكيمة الواردة على القوة العاقلة » ، ويتميزون بمراعاة الاخوان وسخاء النفس واعطاء الفيض والشفقة والرحمة والتحنن

على الاخوان ، ومرتبتهم هي مرتبة الرؤساء ذوى السياسات (١) . ثم مرتبة الاخوان الفضلاء الكرام ، وهم من بلغوا الاربعين سنة ، وهم من يعرفون التواضيس ويدونون العقائد ويوضحون المناهج ويدافعون عن الحقائق ويعملون على نشرها وعلى بث الدعوة . وهذه المرتبة تقابل « مرتبة الملوك ذوى السلطان والأمر والنهي والنصر والقيام بدفع العناد والخلاف عند ظهور المعاند المخالف لهذا الأمر بالرفق واللطف والمداواة في اصلاحه » (٢) وأخيراً مرتبة يسكن تسميتها بمرتبة الكمال ، وهي مرتبة من بلغوا خمسين سنة ، وهي المرتبة المقصودة من جميع رياضيات النفس ، وهي « المهدة للمعاد والمفارقة للمهوى وعليها تنزل قوة المعراج وبها تصعد الى ملكوت السماء فتشاهد أحوال القيامة من البعث والنشر والحشر والحساب والميزان والجواز على الصراط والنجاة من النيران ومجاورة الرحمن ذى الجلال والاکرام » (٣) .

وقد اعتمد اخوان الصفاء في بث دعوتهم على دعاة من نوع خاص ، فليس كل عضو منهم مهياً لنشر الدعوة وجذب أعضاء جدد اليها ، بل يدرب الداعي تدريباً خاصاً على الدعاية مبنياً على دراسة نفسية الجماهير ، ويختلف الدعاة بعضهم عن بعض ، فمن يدعو العامة من أبناء التجار والصناع يختلف عن من يدعو أبناء الأدباء والفقهاء وحملة الدين ، ويختلف هؤلاء عن من يدعو أبناء الملوك والأمراء والوزراء ، وهكذا دواليك ، فلكل مقام كلام ،

(١) الرسائل ، ج ٤ ، ص ١١٩ .

(٢) الرسائل ، ج ٤ ، ص ١١٩ .

(٣) الرسائل ، ج ٤ ، ص ١٢٠ .

وقد نشرت في دمشق عام ١٩٤٩ ، نشرها المجمع العلمي بدمشق بتحقيق الدكتور جميل صليبا في مجلدين كبيرين ، ومن يقرأ عنوانها يظنها للحكيم المجريطي ، واسمه بالكامل مسلمة بن أحمد بن قاسم بن عبد الله المجريطي القرطبي الأندلسي ، ولكن سرعان ما يزال هذا الظن عندما تقرأ مقدمة المحقق ، فقد أثبت فيها بما لا يقبل الشك أنها ليست من تأليف المجريطي ، وما هي الا الرسالة الجامعة التي أشار إليها اخوان الصفاء مرارا في رسائلهم . فمن ناحية لا تشير أغلب المخطوطات الى نسبتها للمجريطي ، ومن ناحية ثانية يشبه أسلوبها أسلوب رسائل اخوان الصفاء ، ويختلف عن أسلوب المجريطي في كتابه « رتبة الحكيم » و « غاية الحكيم » ، زد على ذلك تطابق أبوابها مع أبواب رسائل اخوان الصفاء واتفاقها في العدد وفي أغلب خطب الفصول . وكثيرا ما ترد الرسالة الجامعة القارىء الى رسائل اخوان الصفاء ، وكثيرا أيضا ما تطلب رسائل اخوان الصفاء من القارىء أن يرجع الى الرسالة الجامعة .

وجدير بالذكر أن المرحوم العلامة أحمد زكي باشا في مقدمته لرسائل اخوان الصفاء ، طبعة القاهرة التي أشرنا إليها ، قد لاحظ أن طبعة رسائل اخوان الصفاء التي صدرت في الهند قد ذكرت أن مؤلف الرسائل هو أحمد بن عبد الله ، وقد أنكر ذلك كما أنكره الأستاذ عمر الدسوقي في كتابه « اخوان الصفاء » (٥) ولكن انكار الأول قائم على انكار شخص المؤلف بتاتا ، اما انكار الثاني فقام على تحقيق علمي انتهى منه الى

(٥) عمر الدسوقي ، اخوان الصفاء ، مؤلفات الجمعية الفلسفية المصرية ، ص ٦٣ ، القاهرة ، سنة ١٩٤٧ .

ولكل طبقة من طبقات المجتمع داع يناسبها (١) . ولقد بدأت دعائهم أول ما بدأت بالاتصال الشخصي ، فلما زاد عددهم استعملوا الرسائل في دعائهم أيضا .

### ثانيا - رسائلهم :

ألف اخوان الصفاء احدى وخمسين رسالة ضمنوها - على حد قولهم - فنون العلم وغرائب الحكم وطرائف الآداب وحقائق المعاني . هذا عدا رسالة تعد فهرسا لهذه الرسائل ورسالة أخرى سميت الرسالة الجامعة وهي تعد تلخيصا لما جاء في الرسائل الاحدى والخمسين ، فبذلك تصبح الرسائل ثلاثا وخمسين رسالة (٢) . وما الرسالة المسماة « جامعة الجامعة » التي حققها الأستاذ عارف تامر (٣) الا فصول قصيرة مختصرة من الرسالة الجامعة . وفي دراستنا لهذه الرسائل نعتمد على طبعة المطبعة التجارية بالقاهرة ، وقد صدرت سنة ١٩٢٨ ، وهي طبعة نجدتها أحيانا في أربعة مجلدات وأحيانا أخرى في مجلدين كبيرين من القطع الكبير . وهذه الطبعة لم يبين فيها المخطوطات التي اعتمدت عليها ، وأغلب الظن أنها اعتمدت على مخطوط واحد ، اذ لا يوجد في هوامشها ما يفيد غير ذلك ، ولا تحتوي هذه الطبعة الا على الرسائل الاحدى والخمسين والرسالة التي تعد فهرسا لها . أما الرسالة الجامعة ، وهي التي قال عنها اخوان الصفاء انها « منتهى الغرض وأقصى المدى ونهاية القصد وغاية المراد (٤) ،

(١) انظر النص الرابع

(٢) انظر النص الخامس

(٣) رسالة جامعة الجامعة ، بيروت ، دار النشر

للجامعيين ، ١٩٥٩ .

(٤) انظر النص السادس

والأكوار ، وماهية العشق ، والبعث والقيامة ،  
وأجناس الحركات ، والعلل والمعلولات ، والحدود  
والرسوم •

رابعا - الرسائل الناموسية الالهية والشرعية  
الدينية وتبحث في الآراء والديانات ، والطريق  
الى الله عز وجل ، وبيان اعتقاد اخوان الصفاء ،  
وماهية الايمان وخصال المؤمنين المحققين ، وماهية  
الناموس الالهى وشرائط النبوة ، وكيفية الدعوة  
الى الله ، وكيفية أحوال الروحانيين ، وأنواع  
السياسات وكميتها ، وصورة العالم ، والسحر  
والغزائم •

ورسائل اخوان الصفاء تتفاوت طولاً وقصراً  
وتتسم بعدم العمق في بحثها ، ولا غرو في ذلك  
فقد كتب أكثرها للمبتدئين ومن يريدون تفهم  
مذهبهم بسهولة • ويرجع عدم عمقها أيضا الى  
التحفظ الذي راعاه اخوان الصفاء في كتابتها •  
ولقد لاحظ القفطى هذه الحقيقة فقال عن  
الرسائل : « هي مقالات مشوقات غير مستقصاة  
ولا ظاهرة الأدلة والاحتجاج ، وكأنها للتبسيط  
والايماء الى المقصود الذي يحصل عليه الطالب  
لنوع من أنواع الحكمة » • وقال عنها أبو حيان  
التوحيدى : « هي من كل فن بلا اشباع  
ولا كفاية ... » ، وما لنا نذهب بعيدا وأصحابها  
يقرون على أنفسهم بهذه الحقيقة ، فهم يقولون :  
« واعلم يا أخى أيدك الله ، انما نذكر في كل  
علم شبه المقدمة والمدخل الى ما فيه ليكون  
تحريضا لاخواننا على التميز فيه والشوق اليه ،  
لأن بالشوق الى شئ يكون الحرص على الاطلاع  
عليه » • ويقولون أيضا « اعلم يا أخى انما نورد  
من العلوم في كتبنا ورسائلنا ما يكون تركية للقوى  
وتيسيرا للنفوس ، فأخذنا من كل علم بقدر ما اتسع

أن سبب ذكر اسم مؤلف للرسائل هو أن الامام  
أحمد بن عبد الله من أئمة آل البيت ، وأن  
الشيعة الاسماعيلية مجمعون على أن الرسائل من  
تأليف أحد الأئمة ، فنسبوا اليه •

ورسائل اخوان الصفاء تنقسم الى أربعة أقسام  
من الناحية العلمية هي :

أولا - الرسائل الرياضية التعليمية وتبحث في  
العدد ، والهندسة ، والنجوم ، والموسيقى ،  
والجغرافية ، والنسب العددية أى الصلات الروحية  
بين الأعداد ، والصنائع العلمية النظرية أى أنواع  
العلوم المختلفة والصنائع العملية والغرض منها ،  
وبيان اختلاف الأخلاق وأنواع عللها ، وايساغوجى  
أو المدخل ، والمقولات العشر ، والعبارة ، والقياس ،  
والبرهان •

ثانيا - الرسائل الجسمانية الطبيعية وتبحث في  
الهيولى والصورة والحركة والزمان والمكان ،  
والسما والعالَم ، والكون والفساد ، والآثار  
العلوية ، وتكوين المعادن ، وماهية الطبيعة ،  
وأجناس النبات ، وكيفية تكوين الحيوانات  
وأصنافها ، وتركيب الجسد ، والحاس والمحسوس ،  
ومسقط النطفة ، وقول الحكماء •

ان الانسان عالم صغير ، وكيفية نشوء الأنفس  
الجزئية فى الأجساد البشرية الطبيعية ، وطاقه  
الانسان فى المعارف ومبلغه من العلوم ، وحكمة  
الموت ، والحياة ، والمذات والآلام ، وعلل اختلاف  
اللغات •

ثالثا - الرسائل النفسانية العقلية وتبحث فى  
مبادئ الموجودات العقلية على رأى الفيتاغوريين ،  
والمبادئ العقلية على رأى اخوان الصفاء ، والعالَم  
انسان كبير ، والعقل والمعقول ، والأدوار

ويرى اخوان الصفاء أن المعلم الأول اكتسب علمه بالروية والفكر بعد مشاهدة مصنوعات الطبيعة كما يقول الفلاسفة ، ومن طريق الوحي كما يقول المتكلمون بعد الاتصال بالفس الكلية ومعرفة النفس لذاتها ، هي أفضل أنواع المعرفة وبالزهد تستطيع النفس أن ترتقى في مدارج معرفة الله معرفة بريئة من الشوائب (٣) .

والرياضيات عند اخوان الصفاء لا تسير دراستهم لها على أساس علمي بحت ، بل فيها من الخيال الشيء الكثير ، فهم قد تجاوزوا البحث في العدد من حيث هو الى البحث في خصائصه ، فلم يعبروا عن الأشياء تعبيراً رياضياً ، بل يعللون الأشياء بما يتفق مع نظام الأعداد . فالغاية من الحساب والهندسة ليست ، الا ارشاد النفوس والارتقاء بالمعرفة من المحسوسات الى المعقولات . فإذا نظرنا بالحساب والهندسة الى الكواكب والنجوم فالغرض من هذا هو معرفة أثرها في الكون وجلبها السعادة والنحس للكائنات . فالمشتري والزهرة والشمس تجرى بالسعد ، وزحل والمريخ والقمر تجرى بالنحس ، وفي عطارده تترج السعادة والنحوسة معا (٤) ؛ هكذا الى آخر هذه الخيالات الجامحة .

ويحتل المنطق عند اخوان الصفا ، مكاناً وسطاً بين الطبيعيات والالهيات . وأقسامه عندهم هي المدخل أو ايساغوجي والمقولات والعبارة والقياس والبرهان ، ويقتصر على ذلك ولا يسير حتى نهاية الفروع كالجدل والسفسطة والخطابة والشعر ، كما بدت عند أرسطو ويبحثها فلاسفة الاسلام

له الامكان وأوجه الزمان ، وقد اجتهدنا أن يكون ذلك من أحسن ما قدرنا عليه ووصلنا اليه . ولذلك وضعناه وأثبتناه وأوردناه لآخواننا ، أيدهم الله وإيانا ، ورضينا لهم ما رضينا لأنفسنا . « وأيا ما كان الأمر فإن رسائل اخوان الصفاء تعد صورة للحياة العقلية في القرن الرابع الهجري ، وهي أول مجلد ضم بين دفتيه جميع أقسام الفلسفة ، وهي أخيراً محاولة لتتقيف العامة علمياً وفلسفياً .

### ثالثاً - فلسفتهم :

والمهم أن نذكر أن فلسفة اخوان الصفاء تعد اقتباساً من كل المذاهب ، حسبما رددوا هم انفسهم مراراً في رسائلهم . وهي قائمة على التوفيق بل التلفيق ، فقد جمعوا فيها بين ما جاءت به الأديان وما جاء على لسان الحكماء وما أنتجته قرائح الفلاسفة والعلماء ، وأضافوا الى ذلك أيضاً بعض الشعوذات . وإذا كان من العسير أن نضع لفلسفتهم صورة شاملة متسقة - كما قال دى بور (١) - فانا سنحاول أن نوضح باختصار آراءهم في العلم والرياضة والمنطق ، ثم نتوسع بعض الشيء في فلسفتهم المنافيزيقية والأخلاقية . فالعلم عندهم هو صورة المعلوم في نفس العالم ، فالعالم تعلم نفسه بالفعل أما المتعلم فنفسه تعلم بالقوة ، والتعلم والتعليم هو اخراج ما هو ممكن الى الوجود (٢) . وكذلك الصناعة تكون بأن يخرج الصانع الصورة التي في فكره ، فالعلم موجود في النفس ويظهر بالفعل بفضل المعلم .

(١) دى بور : تاريخ الفلسفة في الاسلام ، ترجمة محمد الهادي أبو ريده ، ص ١٠٢ ، القاهرة ، سنة ١٩٣٨ .

(٢) انظر النص السابع .

(٣) انظر النص الثامن .

(٤) انظر النص التاسع .

كالفارابي وابن سينا . ولقد أضاف اخوان الصفاء لفظا سادسا الى الكليات الخمسة التي قال بها فوفوريوس الصوري هو لفظ « الشخص » ، فأصبحت الكليات عندهم ستة هي : الشخص والنوع والجنس والفصل والخاصة والعرض ، وتدل الثلاثة الأولى على الأعيان أو الموصوفات وتدل الثلاثة الثانية على المعاني أو الصفات (١) .

### الميتافيزيقا والاخلاق :

قلنا ان اخوان الصفاء اهتموا بدراسة العدد ، ولقد بلغ بهم هذا الاهتمام الى درجة أن صدروا به رسائلهم ؛ ولئن استطعنا أن نقول ان فلسفتهم قائمة على عناصر ارسططاليسية وأفلاطونية وأفلوطينية ، فان الأساس الأول لهذه الفلسفة هو الفلسفة الفيثاغورية ، فيثاغورس هو معلمهم الأكبر وهو خزانة الحكمة ، ولئن صرحوا هم مرارا بأن مذهبهم قائم على النظر في جميع علوم الموجودات التي في العالم وكيفية صدورها عن علة واحدة ومبدأ واحد ، فان شاهدتهم الأول في ذلك هو الحساب والهندسة (٢) . فالكون أشبه بعالم الأعداد ، بل زادوا فقالوا ان الموجودات أعداد تعيش في نسق موسيقى (٣) . فنسبة باري الكون الى الموجودات كنسبة الواحد الى العدد ، والعقل والنفس والهولي كالاثنين والثلاثة والأربعة (٤) .

وإذا كان العدد أساسا لفلسفة اخوان الصفاء ، ورقم الواحد لا يستطيع أحد تجاهله في علم العدد ، فان الله أو الواحد الحق لا يستطيع أحد

نكرانه ، والا فسد نظام الكون فالواحد أسبق من الاثنين ، والاثنان تتضمن الوحدة ، اذ الواحد متقدم على الاثنين . وعن الله تفيض كل الموجودات ، فهو المدع لجميع الكيفيات والمظهر لصور الكائنات والموجود في كل شيء من غير مخالطة ومع كل شيء من غير ممازجة مثله مثل الواحد في كل عدد ، وهو القائل : كن ، فيكون (٥) . وجود الله معروف بالبدئية ولا يحتاج الى برهان اذ كل ما في الوجود يخبر بوجوده . وهو منزّه عن الجسمية ليس له شبيه في الخلق ، وكل ما ينسب اليه من صفات انما هو من قبيل ارضاء العامة من الجهال (٦) . وعلم الله تعالى من ذاته ، وهو عالم بالأشياء وماهياتها وهو قادر على الابداع والخلق عن طريق الفيض .

ونظرية الفيض عند اخوان الصفاء ، مزيج من نظريتي أفلاطون وأفلوطين ومن الفلسفة الفيثاغورية في العدد . ويدخل فيها أيضا بعض نظرات من الفلسفة الطبيعية التي تقول بالعناصر الأربعة ومن فلسفة أرسطو القائلة بالهولي والصورة . ويسير الفيض عندهم في تسع درجات وفقا للأرقام التسعة . فأنه أو الموجود الأول قديم قائم بنفسه ، حكيم ، قادر ، عليم ، ومنه يصدر الفيض . وأول موجود يصدر منه هو العقل الفعال وهو جوهر بسيط أنشأه الله كما أنشأ الاثنين من الواحد بالتكرار ، وأودع فيه جميع سمور الموجودات حتى تفيض منه تلك الموجودات ومن هذا العقل الفعال أو العقل الأول أو العقل الكلي كما يسمى أحيانا تفيض النفس الكلية ، وهي العلة المفعلة للعقل الفعال ، وهي التي تحرك العالم وتشكله

(١) انظر النص العاشر .

(٢) انظر النص الحادي عشر .

(٣) انظر النص الثاني عشر .

(٤) انظر النص الثالث عشر .

(٥) انظر النص الرابع عشر .

(٦) انظر النص الخامس عشر .

وتصوره • ويفيض من النفس الكلية الجسم الكلى أى جملة الوجود المادى ، ويفيض منها أيضا الهيولى الأولى وهى على حد قول اخوان الصفاء جوهر بسيط روحانى يقبل من النفس الصور والأشكال بالزمان شيئا فشيئا ، إذ أن فيه استعدادا لأن يتخذ كل صورة من صور المصنوعات الالهية الأولى كالماء والتراب والرخام وأشباهاها • ولما كانت أول صورة قبلتها الهيولى الأولى هى الطول والعرض والعمق فيفيض بذلك الجسم المطلق أو الهيولى الثانية • وهنا يقف فيض العقل الفعال وأثره فى الفيوضات التالية لأنها ناقصة فى الرتبة عن الجواهر الروحانية ويفيض بعد ذلك الجسم الكلى المطلق ، ثم الفلك ، ثم العناصر الأربعة ، ثم الاجسام الجزئية العامة (١) •

والنفس عند اخوان الصفاء جوهر روحانى بسيط عالم بالقوة فعال بالطبع ، وهى تبقى بعد مفارقة البدن فى نعيم أو شقاء حسب عملها فى الحياة • والنفس الجزئية أى نفس الفرد الواحد هى احدى القوى المنبئة من النفس الكلية، ولكنها ليست منفصلة عنها ولا هى اياها بعينها • لقد كانت النفس فى العالم الروحانى فى الملائة الأعلى ناعمة بإقبالها على العقل الفعال تقبل منه الفيض والفضائل والخيرات ، وبعد أن ملأتها الفضائل فاضت هى من فضائلها على الهيولى، وهذه جنابة آدم عليه السلام، فأنزل الله عقابه بها فأخرجها من الملائة الأعلى وفرض عليها أن تتصل بالأجسام السفلية وتفارق الأجرام العلوية ، فاتصل بعضها بجوهر المعادن واتصل بعضها الآخر بجوهر النبات واتصل البعض الثالث بجوهر الحيوان الذى أفضله الانسان • فالنفس عند اخوان الصفاء من مشالات النفس

الكلية ، سبقت الجسد فى الوجود ونزلت من عالمها العلوى فى الجسد نتيجة نسيان أو خطيئة • فخروج آدم عليه السلام من الجنة رمز الى معصية هذه الأنفس الكلية (٢) • أما المعصية التى ترتكبها النفس الجزئية فتأتى من عدم اكمال فضائلها واخراجها كل ما عندها بالقوة الى الفعل والظهور عندما ترتبط بالجسد ، ومتى تابت عطفت عليها النفس الكلية ، وترجع الى قبول الفيض العقلى بالتوبة والاستغفار • واذا فارقت النفس بالجسد ، وكانت حياتها فيه صالحة كريمة صعدت الى عالم الأفلاك ، أما اذا كانت حياتها فيه فاسدة سيئة فلا تفتح لها أبواب السماء ، بل تبقى تحت فلك القمر تنقلب تارة من الكون الى الفساد وتارة من الفساد الى الكون (٣) • وهذا القول قريب من فكرة التناسخ التى يقول بها الفيثاغوريون • والقيامة أو الحشر الأصغر تتحقق بمفارقة النفس للجسد أى موت الجسد • وعندما تفارق جميع النفوس أجسادها لم يبق ضرورة لبقاء النفس التى تفرغت منها وهى النفس الكلية ولا لبقاء العالم نفسه ، فتعود النفس الكلية الى الله فيبطل الوجود ما عدا الله ، وبذلك يتحقق الحشر الأكبر أو القيامة الكبرى ويتحقق خراب العالم ، وبعدئذ يعود الفيض من جديد •

ولاخوان الصفاء رأى فى الدين • انهم - كما ذكرنا - لا يعادون علما ولا مذبا ولا يتعصبون لمذهب على مذهب ، بل ان فلسفتهم تستغرق المذاهب جميعها ، فللاسان العاقل - حسب رأيهم - حرية اختيار المذهب والرأى الذى يراه • ولكنهم لا يسرون فى هذا الرأى بلا حدود ، بل

(٢) انظر النص السابع عشر •

(٣) انظر النص الثامن عشر •

(١) انظر النص السادس عشر •

متوازن (٢) • وكل مجتمع لا يصلح حاله الا اذا كانت هناك سلطة عليا تكون بمثابة الرأس للبدن ، تسوس أمور مجتمع لا يصلح حاله الا اذا كانت هناك سلطة عليا تكون بمثابة الرأس للبدن ، تسوس أمور الشعب وتدبر شئونه • وهم يميزون بين خمسة أنواع من السياسات هي: السياسة النبوية ، وهي التي تضع النواميس المرضية والسنن وتدعو الناس الى ترك الديانات الفاسدة وهجر العادات السيئة. والسياسة الملوكية، وهي التي تقوم على حفظ الشريعة وتحجى السنة وتقيم الحدود وتنفذ أحكام الشريعة وترد المظالم • والسياسة العامة وتحقق برئاسة الأمراء على البلدان والمدن ورياسة الرهاقين على أهل القرى ورياسة الجيوش على العساكر ، ومهمتها رعاية هذه الطبقات وتفقد أحوالها • والسياسة الخاصة وهي رعاية الانسان لشئون منزله وأمر معيشته وأحوال عائلته وأولاده • والسياسة الذاتية وهي أن ينظر الانسان الى نفسه ويراعى أخلاقه ويتفقد أفعاله وأقواله في حالتي الرضا والغضب (٣) •

ولاخوان الصفاء آراء منتشرة في ثانيا رسائلهم ، فلم يعتقدوا لها فصلا خاصا ، وهم يؤكدون الحاجة الى معلم يشترطون فيه صفات خاصة هي الذكاء ، وحسن الخلق وصفاء الذهن وحب العلم وبغية الحق وعدم التعصب لرأى معين • والذين يشتغلون بالعلم - حسب رأيهم - ثمانية أصناف هم : حفظة القرآن ، ورواة الحديث ، وطلاب الفقه ، وطلاب التفسير لآيات القرآن الكريم ، والغزاة والمدافعون

ينكرون رأى الدهرية التي تقول بقدم العالم وبأنه لا صانع له ، ورأى الثنوية الذين ينسبون خلق العالم الى صانعين ، ورأى الصائبة الذي يرجعون الخلق الى أحكام النجوم ، وآراء المشركين ، فالدين عندهم هو الاسلام ، اذ هو أفضل الأديان ، والمسلمون أفضل الأمم (١) • ولهم تفسيرات للأمور الدينية ، فعندهم أن الدين ظاهر وباطن ، ظاهره هو العبادات كالصلاة والصوم ، وباطنه النظر في مقاصده • فاذا أدرك انسان القصد رفعت عنه العبادات ، وهذا لا يتأتى الا للحكماء • وهم يرون أن الملائكة والجن والشياطين وابلis رموز الى القوى الطبيعية ، فالنفس الطيبة تصبح ملاكا بعد مفارقة البدن ، أما الشريرة فتصبح عفريتا من الجن • أما الشياطين ورئيسهم وابلis فما هم الا البشر الجاهلون لحقيقة الدين وحقيقة المعاد والمنكرون لها • وهم يرون أن المعجزة وان ظهرت على أيدي الأنبياء فليس ذلك راجعا الى رضائهم على الناس ، بل مرجعه طاعة هؤلاء الناس أو عصيانهم للقواعد التي وضعها الأنبياء للدين •

واذا انتقلنا الى فلسفتهم المدنية ، نجد أن الانسان ، عندهم ، مدنى بطبعه ، خاصيته التعاون مع أبناء جنسه ، لا يستطيع أن يعيش منعزلا عن سائر الناس اذ لا يمكنه بمفرده أن يقوم بكل ما تحتاجه الحياة من صنائع شتى • فاقترضت حكمة الله أن يقوم مجتمع من الناس يتخصص كل فريق منهم فى عمل ، فيختص فريق بالزراعة ، وفريق بالصناعة ، وفريق بالعلوم ، وفريق بالخدمة ، وفريق بتدبير السياسة ••• وهكذا • وبذلك يتحقق التعاون وتسير أمور الناس فى نسق

(٢) انظر النص العشرين •

(٣) •••

(١) انظر النص التاسع عشر •

الفلسفة ، وهم يعدون من الأوائل الذين فتحوا باب حرية الفكر على مصراعيه في الاسلام .

رابعا : منتخبات من رسائل اخوان الصفاء :

### النص الاول :

« . . . صداقة اخوان الصفاء ، فان صداقتهم قرابة رحم ، ورحمهم أن يعيش بعضهم لبعض ويرث بعضهم بعضاً ، وذلك أنهم يرون ويعتقدون أنهم نفس واحدة في أجساد متفرقة ، فكيف ما تغيرت حال الأجساد بحقيقتها فالنفس لا تتغير ولا تتبدل (٢) . . . فاذا أسعدك الله يا أخي بمن هذه صفته فأبدل له نفسك ومالك ، وق عرضه بعرضك ، وأفرش له جناحك وأودعه شرك وشاوره في أمرك ، ودأو برؤيته عينك واجعل أنسك اذا غاب عنك ذكره والفكر في أمره ، وان هفا هفوة فاغفر له ، وان زل زلة فصغرها عنده ولا توحشه فيخاف من حقدك ، واذكر من سالف احسانه عند اساءته ليأنس بك ويأمن غائلتك ، فان ذلك أسلم لوده وأدوم لآخائه » (٣) .

### النص الثاني :

« . . . ان الأنفس الجزئية تتصور بالعلوم جواهرها وتنمو بالحكمة ذواتها وتضيء بالمعارف صورها وتقوى بالرياضيات فكرها وتير بالأداب حواظرها وتتسع لقبول الصور المجردة الروحانية عقولها وتعلو الى اشتياق الأمور الخالدة ويشد على البلوغ الى أقصى حد غاياتها عزماتها من الترقى في المراتب العالية بالنظر في العلوم الالهية والسلوك

عن الثغور والبلاد ، والزهاد والوعاظ ، والملوك والحكام والرؤساء ، وأخيرا الفلاسفة الذين يعدون ارقى الاصناف ، فهم خلفاء الأنبياء والعالمون بالأسرار . وهم يرون أن الطفل يكتسب معلوماته بالتقليد والتلقين والتفكير . وهناك نوع من الأخلاق يولد مع الطفل ونوع آخر يكتسب . والأخلاق الأولى تتأثر بثلاثة عوامل هي : أحكام النجوم التي تؤثر في الجنين قبل الولادة ، واختلاف نسب العناصر الأربعة في جسم الانسان ، وفعل البيئة الطبيعية وتأثيرها . أما الثانية ، فتستجد بعد الولادة . والأولى وان كانت ثابتة في الطباع أكثر من الثانية الا أنه من المستطاع تغييرها بفعل التربية ومن البديهي ان الثانية يسهل تغييرها وتوجيهها نحو فعل الخير . ويرى اخوان الصفاء وجوب أن يكون عمل الأخيار مطابقا لعلمهم ، والا لما كان لعلمهم ، نفع . والفضائل عندهم مصدرها علوي ، هي موهبة من الله عز وجل ، فحسن الخلق فيض (١) وبعد ، فهذه جولة في رسائل اخوان الصفاء ، الرسائل التي أوردتها موسوعة علمية تنهج في كتابتها منهج التعليم ، وتأوا بها عن التعمق ومنهج البحث العميق ، وخلطوا العلم بالسحر ، والفلك بالتنجيم ، وأخذوا من كل فلسفة بطرف ، ومن كل دين ما حلا لهم أن يأخذوه ، فجاءت خليطا من أقوال الشيعة الباطنية والاسماعيلية ومن فكر أفلاطون وأفلوطين وفيثاغورس وغيرهم من الفلاسفة والمفكرين ، ولكنكم - كما قلنا من قبل - كانوا أول من وضع كتابا يحوى بين دفتيه آراء فلسفية في الميتافيزيقا والفيزيقا وبقية فروع

(٢) الرسائل ، ج ٤ ، ص ١١١ .

(٣) الرسائل ، ج ٤ ، ص ١٠٨ - ١٠٩ .

(١) انظر النص الثاني والعشرين .

ارتضيانه فى بصيرته ومعارفه لينوب عنا فى خدمتهم  
بإلقاء النصيحة اليهم بالرفق والرحمة والشفقة  
عليهم ، ( ٣ ) .

#### النص الخامس :

« هذه فهرست رسائل اخوان الصفا وخلان  
الوفا وأهل العدل وأبناء الحمد ، وهى اثنتان  
وخمسون رسالة ، ورسالة ، فى تهذيب النفوس  
وإصلاح الأخلاق ، ( ٤ ) .

#### النص السادس :

« ... وتليها » الرسالة الجامعة لما فى هذه  
الرسائل المقدمة كلها ، المشتملة على حقائقها  
بأسرها . والغرض منها إيضاح حقائق ما أشرنا  
إليه ونبها فى هذه الرسائل عليه أشد الإيضاح  
والبيان يأتى على ما فيها فيتين حقائقها ومعانيها  
ملخصة مستوفاة مهذبة مستقصاة براهين هندسية  
يقينية ودلائل فلسفية حقيقية وبيانات علمية وحجج  
عقلية وقضايا منطقية وشواهد قياسية وطرق إقناعية  
لا يقف على كنهها ولا يحيط بحقائقها ولا يحصلها  
ولا شيئاً منها الا من ارتاض بما قدمنا وحنق  
وعرف وتدرّب فيها وتمهر ، أو بما يشاكله ، اذ  
هذه الرسائل كلها كالمقدمات لها والمداخل إليها  
والأدلة عليها والأنموذج منها لا يفتتح غلق  
مقاصها ولا ينكشف مستور غامضها الا لمن تهذب  
بهذه الرسائل الاثنتين والخمسين أو بما شاكلها  
من الكتب والرسالة الجامعة من رسائلنا هى منتهى  
الغرض لما قدمناه وأقصى المدى ونهاية القصد  
وغاية المراد ، ( ٥ ) .

( ٣ ) الرسائل ، ج ٤ ، ص ٢١٤ .

( ٤ ) الرسائل ، ج ١ ، ص ١٩ .

( ٥ ) الرسائل ، ج ١ ، ص ١٩ .

فى المذاهب الروحانية الربانية والتعبد فى الأمور  
الشريفة من الحكمة على المذهب السقراطى  
والتصوف والتزهد والترهب على المنهج المسيحى  
والتعلق بالدين الحنيفى وهو التشبه بجوهرها  
الكلى ولحوقها بعالمها العلوى والتوصل الى علتها  
الاولى والاعتصام بجبل عصمته وابتغاء مرضاته  
وطلب الزلفى لديه بالاتحاد بأبناء جنسها فى عالمها  
الروحانى ومحلها النورانى فى دارها الحيوانى كما  
قال الله تعالى : وان الدار الآخرة لهى الحيوان لو  
كانوا يعلمون ، ( ١ ) .

#### النص الثالث :

« ... العالم أ خير الفاضل الذكى المستبصر  
الفارسى النسبة ، العربى الدين ، الحنفى المذهب ،  
العراقى الآداب ، العبرانى المخبر ، المسيحى المنهج ،  
الشامى النسك ، اليونانى العلوم ، الهندى  
البصيرة ، الصوفى السير ، الملكى الأخلاق ،  
الربانى الرأى ، الالهى المعارف » ( ٢ ) .

#### النص الرابع :

« واعلم أيها الأخ البار الرحيم أيدك الله وإيانا  
بروح منه أن لنا اخواناً وأصدقاء من كرام الناس  
وفضلائهم متفرقين فى البلاد ، فمنهم طائفة من  
أولاد الملوك والأمراء والوزراء والعمال والكتّاب ،  
ومنهم طائفة من أولاد الأشراف والدهاقين  
والتجار والتّناء ، ومنهم طائفة من أولاد العلماء  
والأدباء والفقهاء وحملة الدين ، ومنهم طائفة من  
أولاد الصنائع والمتصرفين وأمناء الناس . وقد  
ندبنا لكل طائفة منهم واحداً من اخواننا ممن

( ١ ) الرسائل ، ج ٣ ، ص ٢٨ .

( ٢ ) الرسائل ج ٢ ، ص ٣١٦ .

## النص السابع :

### النص التاسع :

« فصل في ذكر الكواكب السيارة ، فقول :  
اثنان منها نيران وهما الشمس والقمر ، واثنان  
منها سعدان وهما المشتري والزهرة واثنان منها  
نحسان وهما زحل والمريخ ، وواحد ممتزج وهو  
عطارد وعقدتان وهما الرأس والذنب ، (٣) »

### النص العاشر :

« واعلم أن الألفاظ التي تستعملها الفلاسفة في  
أقوالها وإشاراتنا إلى المعاني التي في أفكار الناس  
سنة أنواع : ثلاثة منها دالات على الأعيان التي  
هي موصوفات ، وثلاثة منها دالات على المعاني  
التي هي الصفات . فالألفاظ الثلاثة الدالة على  
الموصوفات قولهم : الشخص والنوع والجنس ،  
والثلاثة الدالة على الصفات هي قولهم : الفصل  
والخاصة والعرض » (٤) »

### النص الحادي عشر :

« ... الرسالة الأولى منها في العدد ...  
والغرض ... هو رياضة أنفس المتعلمين  
للفلسفة ، المؤثرين للحكمة الناظرين في حقائق  
الأشياء ، الباحثين عن علل الموجودات بأسرها ،  
وفيها بيان أن صورة العدد في النفوس مطابق  
لصور الموجودات في الهولي ، وهي أنموذج من  
العالم الأعلى ، وبمعرفة يتدرج المرتاض إلى سائر  
الرياضيات والطبيعات . وأن علم العدد جذر  
العلوم وعنصر الحكمة ومبدأ المعارف واسطقس  
المعاني » . « الرسالة الثانية في الهندسة ...  
والغرض .. هو التهدي للنفوس من المحسوسات

« واعلم يا أخي بأن العلم إنما هو صورة المعلوم  
في نفس العالم ، وضده الجهل وهو عدم تلك  
الصورة من النفس . واعلم بأن أنفس العلماء  
علامة بالفعل وأنفس المتعلمين علامة بالقوة ، وأن  
التعلم والتعليم ليسا شيئاً سوى إخراج ما في القوة  
يعنى الامكان إلى الفعل يعنى الوجود ، فإذا نسب  
ذلك إلى العالم سمي تعليماً وإن نسب إلى المتعلم  
سمى تعلماً » (١) »

## النص الثامن :

« ... وهكذا ينتهي إلى واحد ليس علمه من  
أحد من البشر فيكون عند ذلك أحد الأمرين  
أما أن تقول أنه استخرجه بقوة نفسه وفكره  
ورويته واجتهاده كما يزعم المتفلسفون ، وأما أن  
تقول أنه أخذه عن موقف له ليس من البشر كما  
يقول الأنبياء صلوات الله عليهم ... واعلم  
يا أخي علماً يقيناً أنه ليس من البشر أحد يحيط  
بعلم من العلوم لا الأنبياء ولا الفلاسفة ولا غيرهم  
إلا بما شاء الذي وسع كرسيه السموات والأرض  
ولا يؤده حفظهما وهو العلي العظيم . وذلك أن  
الذين زعموا أنهم استخرجوا العلوم والصنائع  
بقوة عقولهم ... لولا أنهم رأوا وشاهدوا  
مصنوعات الطبيعة ... لما اهتموا إلى شيء منها ،  
والطبيعة أيضاً لولا أنها مؤيدة بالنفس الكلية ،  
والنفس الكلية لولا أنها مؤيدة بالفعل الكلي الذي  
هو أول الموجودات من الباري سبحانه ، والباري  
سبحانه هو المؤيد لكل ... » (٣) »

(٣) الرسائل ، ج ١ ، ص ٨٢ .

(٤) الرسائل ، ج ١ ، ص ٣١٣ .

(١) الرسائل ، ج ١ ، ص ١٩٨ .

(٢) الرسائل ، ج ١ ، ص ٢٢٥ .

المخالطة ، ومع كل شيء من غير الممازجة ، كوجود  
الواحد في كل عدد « (٤) » .

#### النص الخامس عشر :

« اعلم أيها الأخ أن صفات الله تعالى التي  
لا يشركه فيها أحد من خلقه ، ومعرفته التي  
لا يعرف بها الا هو ، أنه مبدع مخترع ، خالق ،  
مكون ، قادر ، عليم ، حي ، موجود ، قديم ،  
فاعل ... وأنه المعطي من جوده الوجود هذه  
الصفات وما ينبغى له ويليق ، فأفاض على العقل  
من ذلك أنه مبدئ ، محدث ، حي ، قادر ،  
مخترع ، عالم ، فاعل ، موجود ، فالعقل مبدئ  
لما بدا منه ، وفاعل بمعنى مفعول ، ومحدث بمعنى  
أنه محدث معلول ، ومعطي الحياة لمن دونه كما  
أعطى ، وموجود بوجود أفعاله الصادرة عنه « (٥) »

#### النص السادس عشر :

« واعلم يا أخي أن البارئ جل ثناؤه أول شيء  
اخترعه وأبدعه من نور وحدانيته جوهر بسيط  
يقال له العقل الفعال ، كما أنشأ الاثنين من الواحد  
بالتكرار ، ثم أنشأ النفس الكلية الفلكية من نور  
العقل ، كما أنشأ الثلاثة بزيادة الواحد على الاثنين ،  
ثم أنشأ الهيولى الأولى من حركة النفس ، كما  
أنشأ الأربعة بزيادة الواحد على الثلاثة ، ثم أنشأ  
سائر الخلائق من الهيولى ورتبها بتوسط العقل  
والنفس ، كما أنشأ العدد من الأربعة باضافة  
ما قبلها إليها « (٦) » .

« واعلم يا أخي ، أيدك الله وإيانا بروح منه ،

الى المقولات ، ومن الجسمانيات الى الروحانيات  
ومن ذوات الهيولى الى المجردات « (١) » .

#### النص الثاني عشر :

« ... ان للأفلاك السامية ، والكواكب  
الشريفة ، والجواهر اللطيفة ، في دورانها  
واحتكاكها بعضها ببعض ، نعمات مطربة عجيبة ،  
والحانا لذيدة بديعة كنفات العيدان واصطحاب  
الأوتار ، ومجاوبة المزامير ، ونقر الطنابير « (٢) »

#### النص الثالث عشر :

« ... البارئ جل ثناؤه نسبه من الموجودات  
كنسبة الواحد من العدد والعقل كالأثنين ،  
والنفس كالثلاثة ، والهيولى كالأربعة ، وسائر  
الخلائق مركبة من الهيولى والصورة المخترعين  
من النفس الكلية ، والنفس الكلية منبعثة من العقل  
الكلية ، والعقل مبدع بأمر البارئ جل ثناؤه ،  
أبدعه الله لا من شيء وصور فيه جميع الأشياء  
بالقوة والفعل « (٣) » .

#### النص الرابع عشر :

« ... انه ليس بشخص ولا صورة ، بل  
هوية وحدانية ذو قوة واحدة وأفعال كثيرة وصنائع  
عجيبة لا يعلم أحد من خلقه ما هو ، وأين هو ،  
وكيف هو ، وهو الفاضل منه وجود الموجودات ،  
وهو المظهر صور الكائنات في الهيولى ، المبدع  
جميع الكيفيات بلا زمان ولا مكان ، بل قال :  
كن فكان ، وهو موجود في كل شيء من غير

(٤) الرسائل ، ج ٤ ، ص ٥٠ - ٥١ .

(٥) الرسائل ، ج ٤ ، ص ٢٥٢ .

(٦) الرسائل ، ج ١ ، ص ٢٨ - ٢٩ .

(١) الرسائل ، ج ١ ، ص ١ .

(٢) الرسالة الجامعية ، ج ١ ، ص ١٨٦ .

(٣) الرسائل ، ج ١ ، ص ١٤٦ .

الشمس في الجو طبعاً لا اختياراً منها ... فأما  
البارى تعالى فمختار في فعله ان شاء فعل وان  
شاء أمسك عن الفعل تركاً ، (٣) .

#### النص السابع عشر :

• • • ثم اعلم أن الأمور الالهية هي الصور  
المجردة من الهولى وهي جواهر باقية خالدة  
لا يعرض لها الفساد والآفات كما يعرض للأمور  
الجسمانية ، واعلم أن نفسك هي احدى تلك  
الضور ، فاجتهد في معرفتها لعلك تخلصها من  
بحر الهولى وهوىة الأجسام وأسر الطبيعة التي  
وقعنا فيها بجسابة كانت من أبينا آدم عليه  
السلام ، (٤) .

#### النص الثامن عشر :

• • • وذلك أن ( النفس ) الجزئية اذا لم  
تستقم بالعلوم والمعارف فانها ما دامت مرتبطة  
بالأجساد البشرية متهىء لها ادراك المحسوسات  
فلا تستكمل صورها بمعرفة حقائق الأشياء ما دام  
لها العقل والتمييز والروية ، ولا هي تهذب  
بالأخلاق الجميلة ما دام يمكنها الاجتهاد والعزيمة ،  
ولا هي قومت اعوجاجها من الآراء الفاسدة وقد  
أرهقتها أعمالها السيئة وأثقلتها أفعالها القبيحة ،  
فانها عند مفارقة الأجساد لا تتفجع بجوهرها  
ولا تستقل بذاتها ولا يمكنها النهوض الى الملأ  
الأعلى من ثقل أوزارها ولا يعرج بها الى ملكوت  
السماء ولا تستأهل للدخول فى زمر الملائكة  
وتتعلق دونها أبواب السماء ويفوتها ذلك الروح  
والريحان ... فإذا فاتها ذلك المكان الشريف

بأن نسبه البارى جل ثناؤه من الموجودات كنسبة  
الواحد من العدد ، ونسبة العقل منها كنسبة  
الاثنين من العدد ، ونسبة النفس من الموجودات  
كنسبة الثلاثة من العدد ، ونسبة الهولى الأولى  
كنسبة الأربعة ، (١) .

• ثم اعلم أن كل موجود تام فانه يفيض منه  
على ما دونه فيض ما ، وأن ذلك الفيض هو من  
جوهره أعنى صورته المقومة التي هي ذاته .  
والمثال فى ذلك حرارة النار فانها تفيض منها على  
ما حولها من الأجسام من التسخين والحرارة وهي  
جوهريية النار التي هي صورتها المقومة لها، وهكذا  
أيضا يفيض من الماء الترطيب والبلل على الأجسام  
المجاورة له ، والرطوبة جوهريية فى الماء وهي  
صورة مقومة لذاته ، وهكذا أيضا يفيض من  
الشمس انور والضياء على الأفلاك والهواء لأن  
النور جوهري فى الشمس ، وهي صورته المقومة  
لذاته ، وهكذا أيضا تفيض من النفس الحياة على  
الأجسام لأن الحياة جوهريية لها وهي الصورة  
المقومة لذاتها ، (٢) .

• ثم اعلم أن كلام المتكلم ليس هو جزء منه ،  
بل فعل فعله أو عمل عمله وأظهره بعد أن لم  
يكن ، وهكذا حكم النور الذى يرى فى الجو عن  
جرم الشمس ليس هو جزء منها، بل هو أشخاص  
منها وفيض وفضل منها ... وهكذا الحكم والمثال  
فى وجود العالم عن البارى . وذلك أن العالم  
ليس بجزء منه ، بل فضل تفضل به ، وفيض  
جود أفاض وفعل فعله بعد أن لم يكن فعل ...  
ولا تقدر أيضا ولا ينبغى أن تظن أن وجود العالم  
عن الله تعالى طبعاً بلا اختيار منه مثل وجود نور

(٣) الرسائل ، ج ٣ ، ص ٣١٩ .

(٤) الرسائل ، ج ٢ ، ص ١٧ .

(١) الرسائل ، ج ١ ، ص ٢٨ .

(٢) الرسائل ، ج ٣ ، ص ٣٢٩ .

منهم بإحكام الصنائع وجماعة فى التجارات وجماعة  
بإحكام البنان وجماعة بتدبير السياسات وجماعة  
بإحكام العلوم وتعليمها وجماعة بالخدمة للجميع  
والسعى فى حوائجهم ، ( ٣ ) .

#### النص الحادى والعشرون :

« . . . اعلم أن الجسد .سوس والنفس سائس ،  
فأى نفس ارتاضت فى سياسة جسدها كما يجب  
أمكنها سياسة الأهل والخدام والغلمان . ومن  
ساس أهله بسيرة عادلة أمكنه أن يسوس أهل  
المدينة كلهم ، ومن ساس أهل المدينة كما يجب  
أمكنه أن يسوس الناموس الالهى ، ومن ساس  
الناموس الالهى أمكنه الصعود الى عالم الأفلاك  
وسعة السماوات عالم الدوام ليجازى هناك بما عمل  
من خير ، فاذا الموت حكمة » ( ٤ ) .

#### النص الثانى والعشرون :

« . . . اعلم أن تلك المحاسن والفضائل  
والخبرات كلها انما هى من فيض الله واشراق  
نوره على العقل الكلى ، ومن العقل الكلى على النفس  
الكلية ، ومن النفس الكلية على الهيولى وهى  
الصورة التى ترى الأنفس الجزئية فى عالم الأجسام  
على ظواهر الأشخاص والأجرام التى من محيط  
الفلك الى منتهى مركز الأرض ، ( ٥ ) .

سعيد زايد

(٣) الرسائل ، ج ١ ، ص ٦٢ .

(٤) الرسائل ، ج ٣ ، ص ٦٤ - ٦٥ .

(٥) الرسائل ، ج ٣ ، ص ٢٧٥ .

بقيت مقيدة فى الهواء تهوى دون السماء وتجرها  
شياطينها التى تتعلق عليها من الشهوات الجسمانية  
والآراء الفاسدة والاهتمام بالأمر الهولانية راجعة  
الى قعر الأجسام المدلهمة وأسر الطبيعة الجسدانية  
وتدفعها أمواج الشهوات المحرقة المؤدية الى  
أودية الهاوية حيث لا أنيس لها وتجرها الشياطين  
كما تجر العميان والزمنى متجنين طرقات  
الناس ، ( ١ ) .

#### النص التاسع عشر :

« . . . ملة الاسلام التى هى أكد الأسباب لأنه  
خير دين دان به المتألهون وأفضل طريق يسلكه  
الى الله القاصدون ، وهو القدوة بدين نبينا محمد  
صلى الله عليه وسلم وبعلم كتابه الذى جاء به  
مهيما على كتب الأولين وسنة الشريعة التى هى  
أعدل سنة سنها المرسلون ، ( ٢ ) .

#### النص العشرون :

« . . . اعلم يا أختى ، أيدك الله وايانا بروح  
منه ، بأن الانسان الواحد لا يقدر أن يعيش وحده  
الا عيشا نكدا ، لأنه محتاج الى طيب العيش من  
احكام صنائع شتى ، ولا يمكن الانسان الواحد  
أن يبلغها كلها لأن العمر قصير والصنائع كثيرة ،  
فمن أجل هذا اجتمع فى كل مدينة أو قرية  
اناس كثيرون لمعاونة بعضهم بعضا . وقد أوجبت  
الحكمة الالهية والعناية الربانية بأن يشتغل جماعة

(١) الرسائل ، ج ٣ ، ص ٢٦ - ٢٧ .

(٢) الرسائل ، ج ٤ ، ص ٢٤٢ .